مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبر ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسينَ أجمعين بالإيمان قهَروا الممالِكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذَتْ نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتير الأعضاءِ والضَربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزء والجَلْدَ والقيودَ أيضاً والسجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالم مُستحقاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ*

أحدجميع القديسين

إن انحدار الروح القدس بشكل ألسنة نارية تميل بطبيعتها إلى العلاء، عَجَنَ ترابيتنا التي تميل بطبيعتها إلى أسفل. بهذه النار الآكلة لترابيتنا ارتفعنا إلى العلاء لابسين النور فصار الإنسان بالنعمة قديساً.

في الأحد الذي يلي أحد العنصرة تحتفل الكنيسة بتذكار جميع القديسين، وكأنما المقصود بذلك أن نختتم الحلقة التي بدأت بالصوم لتبلغ قصدها بالقداسة، مؤكدين أن السعي إلى الله ينتهي بإكليل المجد والظفر. ولكن أي قديسين نستذكر؟ ألا تحتفل الكنيسة كل يوم بتذكار قديس محدَّد؟ فلماذا نُقيم لهم جميعاً عيداً مشتركاً؟ إن الكنيسة تدعونا أولاً أن نعيّد لجميع الذين نعيّد لهم على انفراد، في يوم واحد مجتمعين، لأنهم جاهدوا لمسيحٍ واحد وإله واحد وسكنوا ملكوتاً واحداً.

كما أننا نعيّد ثانياً لأناس كثيرين لا يحصى عددهم، عاشوا بالفضيلة والتقوى وحسن العبادة وعاينوا مجد الله وشهدوا له ولكن جهادهم بقي في الخفاء وغير مُعلن للجماعة الكنسيَّة. هؤلاء أيضاً قديسون بكل ما للكلمة من معنى ونحن نقيم لهم اليوم تذكاراً لتكريمهم.

هذا يطرح علينا السؤال الأصعب: ما هي القداسة؟ الله وحده قدوس وليس قدوس سواه، ولكن الإنسان بالنعمة صار قادراً أن يقترب منه، بعد أن كان مطروداً من فردوس حضرته الإلهية والدائمة، فأصبحت قداسة الإنسان أمراً ممكناً. وكما عندما نقترب من النار يلفحنا دفؤها، هكذا متى اقتربنا من الله تنعكس علينا قداسته فنصبح بالنعمة قديسين. بمعنى آخر، إن الإنسان لا يستطيع أن يتقدَّس بفضل منه إن مارس أعمال الفضيلة والتقوى. وحده الله يقدِّس الإنسان. يلفحه بنار قداسته فينقي ترابيته ويلبسه نور المجد الذي لا يغرب. تلك هي القداسة. ولكن هل كل القديسين متساوون بالقداسة؟

منذ بداية الصوم وكل منا يجاهد على قدر طاقته. كل منا عاش هذه الفترة بصورة خاصة وشخصية، لذلك كل واحد منا أعدّ قلبه كما رأى وعرف واستطاع. ولذلك كل منا ينال

العدد ٢٢/٢٠١٠

الأحد ٣٠ أيار

أحد جميع القديسين

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلْقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابِقْ بالصبر في الجِهادِ الذي أمامنا* ناظِرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢–٣٣، ٣٧–٣٨؛ ١٩: ٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّام أبي الذي في السموات* ومَن يُنكرني قدَّامَ الناس أُنكرُه أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبهُ ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال له هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَر* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً

نعمة التقديس على قدر ما يستطيع، لأن الله لا يعطينا فوق طاقتنا على التحمّل. كل منا اشتهى الله بصدق وأمانة، لذلك فإن الله يعطينا على قدر ما نشتهي، لأن الله لا يعطينا شيئاً لا نرغب به ولا ننتظره أو نشتهيه وهو يحترم حرّيتنا.

إننا نحصد كما نزرع، فلا يمكن أن نزرع الغضب والحقد ونحصد الروح القدس. لا يمكننا أن نستغني بأمور الدنيا فنستغني عن الله، وننتظر أن يعاملنا الله كفقراء إليه ويغدق علينا نِعَمه وبركاته. إننا ننال ما نستطيع استيعابه بقلبنا وعقلنا، لأن الله لا يعطينا ما لا نستطيع استيعابه وفهمه. الروح القدس يعلّمكم كل شيء وتفهمون كل شيء، هو ينيرنا بقدر طاقتنا على الرؤية حتى لا تُبهَر عيوننا ونَعمى.

الله يملأ قلوبنا بما تستطيع. من كان منا قلبه ممتلئاً بأشياء الدنيا واهتماماتها ومشاغلها، هذا لا يستطيع أن يستقبل الله في قلبه ما لم يُخلِ له مكاناً. الله يأخذ المكان والمكانة اللذين نُعدهما له. إن شئنا أن يكون له مكان أوسع في قلوبنا ومكانة أرفع في حياتنا علينا أن نتعلّم بساطة القلب. القلب البسيط هو القلب الفقير إلى الله. «القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠: ١٧). هو القلب الذي لا يشتهي أحداً سوى الله. درب القداسة هي أن نُخلي محبة الدنيا ومحبة الناس من قلوبنا لنحب الله قبل كل شيء وفوق كل شيء. هذا هو الجهاد المسيحي. والله يكافئُ جهادنا بالقدر الذي نجاهد فيه ليكون في حياتنا هو الحب الأول والأخير. هكذا نفهم إنجيل اليوم: «مَن أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني». أعداءُ الإنسان أهلُ بيته، إن أحب الإنسان أهل بيته أكثر من الله.

قد يقول الكثيرون إن الله محبّ لذاته وقاسي القلب. لكن تذكروا أننا نعرف الله الخالق ونحبه من خلال خليقته. مَن أحب الخليقة دون أن يرى فيها عَظَمة الخالق، يصبح لها عبداً وتصبح له صنماً. وعَبَدة الأصنام يستعبدونها، يجعلونها كأشيائهم ومقتنياتهم. يخترعون أصنامهم ليطمئنوا إليها.

الله يريدنا أن نراه هو من خلال مَن نحب، لا أن يحجب أحبتنا صورته عنا. هكذا يصبحون أعداءنا لأنهم يُبعدوننا عن الله، يحجبونه عنا. يتحوّل حبنا لهم أنانية واستئثاراً. الحب الحقيقي يبقى حراً لأنه بالله يتنقى من كل هوى. إننا نأخذ من قداسة الله على مقدار حبنا له، نمتلئ من حبه عندما يصير حبنا إليه أعمق من كياننا، عندما ينسحق كياننا ليبلغ عمق العمق. من هذا العمق يرفعنا الله إليه.

ومتى جذبنا الله من عمق الجهل، فيه نجد طمأنينة وبه نستقر ونستريح، يُلبسنا من مجده كرامة ويُسكننا في نعيم مُلكه الذي لا يفنى، له المجد إلى أبد الدهور.

القديس يوستينوس الشهيد

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الأول من شهر حزيران للقديس الشهيد يوستينوس. وُلد القديس يوستينوس حوالي السنة ١٠٠ م. من أبوين وثنيين في شكيم السامرة في فلسطين حيث نشأ وترعرع. ثم طلب

أو أخواتٍ أو أباً أو أمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَة ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوَّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوَّلين.

تأمل

لقد كان القديسون الشهداء بالحقيقة شجعاناً لذلك يستحقّون المديح. لأنه في زمن الاضطهاد عندما كان الأخوة الآخرون يهربون من الجهاد ولا يعترفون بالمسيح أنه ابن الله، وقف الشجعانُ بكل رجولة ممنطقين أحقاءهم بالإيمان الصادق يعترفون ببسالة كبيرة بالمسيح أنه ابن الله.

كان الإخوة الآخرون يهربون من الجهاد أي يهربون من ملكوت الله السماوي فباتوا غيرَ مستحقين له. بينما وقف الشهداء الشجعان صامدين وصابرين على العذابات بفرح كبير من أجل اسم ابن الله الوحيد مخلّص العالم... كانوا يشاهدون بأمّ أعينهم عذابات رهيبة قائمة أمامهم مع النار المحرقة وكلّ وسائل العذاب. كانوا يشاهدون الدواليب تدور في وسط النار المشتعلة وكذلك الحراب، السلاسل والرباطات المختلفة. بكلمة واحدة، كانوا يرون آلات العذاب كلّها تلك التي ابتكرها العدو، عدوُّ الحق، ضدّ العلم على يد رواقي (الرواقية مذهب فلسفي أسّسه الفيلسوف زينون في القرن الرابع ق.م.)، لكن هذا الأخير أخفق في تعليل وجود العلّة الأولى أي الله، فتركه يوستينوس وطرق باب مشّائي (من أتباع أرسطو الذي كان يعلّم وهو يتمشى مع تلاميذه) أصرّ على أن يدفع يوستينوس رسم التعليم مُسبَقاً، فاستغنى وراح يطلب العلم عند واحد من أتباع فيثاغوروس ألزمه بأن يتعلّم الموسيقى أولاً والفلك والهندسة. لم يُرضِ ذلك القديسَ يوستينوس، فلجأ إلى أحد أتباع أفلاطون وشرع في تفهّم فلسفته فراقت له وأعجبته، وكان لا يزال يتوق إلى معرفة الخير الأعظم فصادف وهو يتمشى على شاطئ البحر رجلاً شيخاً كلّمه في ما كان يبحث عنه وأقنعه أنّ الفلسفة الأفلاطونيّة لا تروي ظمأه، ثم لفت نظره إلى الأنبياء مؤكّداً له أنّهم وحدهم الذين أعلنوا الحقيقة. ويخبرنا القديس نفسه أنه «بعد أن كلّمني الشيخ عن هذه الأمور وغيرها، التي لا وقت لذكرها الآن، ذهب تاركاً إيّاي مع ما كلّمني به، ولم أره بعد ذلك أبداً. لكني شعرتُ في نفسي بشعور ملتهب، وتملّكني حبّ للأنبياء وللرجال الذين كانوا مع المسيح. وفيما كانت كل هذه الأفكار تجول في ذهني أدركتُ أن هذه الفلسفة هي الوحيدة السليمة والمفيدة. ولهذه الأسباب أصبحت فيلسوفاً، وأتمنى ألاّ يحيد عن عقائد المخلّص كلُّ إنسان فكّر تفكيري». ويفيدنا القديس أنّه كان يطرب لتعاليم أفلاطون كما كان يسمع القدح في المسيحيين. لكنه عندما رأى أنّهم لا يهابون الموت ولا غيره مما يثير الرعب استنتج أنّه لا يمكن أن يكونوا أشراراً أو ممّن يحبّون الملذّات. كما أنّه عندما اكتشف ما يحيكه الأشرار حول تعاليم المسيحيين الإلهيّة ليُعيقوا الناس عن قبولها هزئ من أصحاب هذه الأكاذيب وصلّى وسعى بكلّ ما أوتي من قوّة ليصبح مسيحيًّا. وهكذا فإنّ سعيه الصادق للوصول إلى الحقيقة وصلاته المتواضعة جعلاه في النهاية يقبل الإيمان بالمسيح.

بعد أن أصبح القديس يوستينوس مسيحياً، على الأرجح في أفسس، كرّس حياته للدفاع عن الإيمان المسيحي. لبس عباءة الفلاسفة اليونانيين وشرع يجول ويعلّم. فحطّت رحاله في روما، في عهد أنطونينوس بيوس (١٣٨–١٦١)، حيث أسّس مدرسة له. ساعده في هذه المدرسة واحد من تلاميذه هو تاتيانوس الذي أصبح بدوره مدافعاً عن الإيمان المسيحي.

كان القديس يوستينوس غزير الإنتاج ولكن لم تصلنا كافة أعماله وقد استنتج الباحثون ذلك من خلال كتاباته نفسها وكتابات أخرى تشير إلى بعض أعماله. أما ما تبقى من كتاباته التي يؤكّد الباحثون صحة نسبتها إليه فهي: الدفاع الأول، الدفاع الثاني والحوار مع تريفون.

استشهد القديس يوستينوس في روما سنة ١٦٥ مع ستّة من رفاقه المسيحيين، ونُقلت أخبار استشهاده عن محضر قضائي روماني رسمي، وهذا المحضر هو أوثق مرجع عن أخبار الشهداء.

في هذا المحضر القضائي دُوِّنت بالتفصيل وقائع محاكمة القديس

المعترفين باسم المخلّص، معروضة أمام أعين الشهداء لكي تُثنيهم عن الإعتراف بيسوع المسيح. ... بعزم ثابت وبدالة كبيرة اعترفوا بالمسيح أمام منبر الرؤساء والقضاة بلا خوف ولا تردّد. لم تخفهم المشاهد هذه كلّها... بل على العكس دفعتهم بإيمان ليزدروا بمكائد العدو كلها.

أرأيت شجاعة هؤلاء العبيد المحبّين لله؟ أرأيت عَظَمة المجاهدين المحبّين للمسيح؟ أرأيت عزم أولئك الذين يشتهون ملكوت الله العلويّ؟ أرأيت إيمانهم الكامل ومحبّتهم الكاملة؟ كيف ازدروا بكلّ شيء كائن على الأرض لكي يعاينوا الله الذي أحبّوه؟ أرأيت الشوق من أجل المسيح؟ كيف يرفع من الأرض أولئك الذين يريدون أن يرتفعوا؟ أرأيت كيف أن الفردوس يشتاق لرؤية المجاهدين المكلّلين وسط نوره؟

اقتربْ وانظر بأعين نفسك أيها الأخ الصادق، يا وريثَ الشهداء، عظمةَ الإيمان الذي للمجاهدين الكاملين وفكرهم الأمين الثابت. كيف لم يستطع عنف العذابات أن يكبح فكر الصدّيقين والمحبّة التي تشدّهم نحو الله بل على العكس عند تعذيبهم كانوا يقتبلون بفرح كبير الجراحَ كمتعة كبيرة ويشكرون الله. لأنهم استحقوا أن يتألّموا من أجله.

القديس أفرام السرياني

يوستينوس مع رفقائه الستّة الذين استجوبهم قائد شرطة روما روستيكوس. تبدأ المحاكمة بأمر قائد الشرطة للقديس يوستينوس لإطاعة الآلهة والخضوع للملوك. إلاّ أن القديس يجيبه «إنّ الطاعة لوصايا مخلّصنا يسوع المسيح لا تستحق اللوم والقضاء». بعد ذلك يستفسر روستيكوس عن إيمان القديس يوستينوس الذي يجيبه بأنّه بناءً على العقائد الحقّة فهو يعبد إله المسيحيين الذي هو واحد منذ البدء، وهو الذي أبدع كلّ الخليقة المنظورة وغير المنظورة. إنه يعبد الرب يسوع المسيح ابن الله، الذي سبق الأنبياء وبشّروا به بأنّه سيأتي ليكون مع الجنس البشري. وحين سأله عن مكان اجتماعهم أجاب القديس أنّهم لا يجتمعون في مكانٍ واحد، بل حيث يشاء كلّ واحد، لأنّ إله المسيحيين غير محدود في مكان، ولكنّه مالئ السماء والأرض، والمؤمنون يعبدونه ويمجّدونه في كل مكان.

ثم يستجوب قائد الشرطة الذين مع القديس يوستينوس، الذين بدورهم يعلنون إيمانهم المسيحي. وبعد ذلك يعود لتهديد القديس سائلاً إيّاه: «أنتَ الذي تظنّ أنّك تعرف العقائد الحقيقيّة، هل تعتقد أنّك ستصعد إلى السماء إذا جُلدتَ وقُطع رأسك؟»، «وهل تظنّ أنّك ستصعد إلى السماء لتنال المجازاة؟»، فيجيبه القديس: «لي رجاءٌ أنّي إذا احتملتُ كلّ هذه الأمور سأنال هباته»، «إنّي لا أظنّ ذلك ولكنّي أعرف وأنا مقتنعٌ كلّياً بذلك». بعد ذلك يعود قائد الشرطة لتهديده بمعاقبته بدون رحمة إن لم يقدّم الأضاحي للآلهة. فيجيبه القديس: «ليس من إنسان صحيح العقل ينتقل من التقوى إلى الكفر»، «كما أنّه بالصلاة سيخلّصنا ربّنا يسوع المسيح، حتى ولو عوقبنا، لأنّ ذلك سيؤول بنا إلى الخلاص والثقة أمام عرش الدينونة الأكثر رهبة، دينونة ربّنا ومخلّصنا». وهكذا أجاب رفقاؤه قائلين: «إفعل ما تريد لأننا مسيحيون ولا نقدّم الأضاحي للأوثان».

عندئذ يعلن قائد الشرطة حكمه: «فليُجلد الذين يرفضون أن يذبحوا للآلهة ولا ينقادون لأوامر الإمبراطور، ولْيُقادوا لاحتمال عقوبة قطع الرأس، وفقاً للقانون».

بعد إعلان هذا الحكم قِيد القديس يوستينوس والذين معه إلى المكان المعيّن حيث قُطعت رؤوسهم، فتمّموا بذلك شهادتهم باعترافهم الإيماني بالمخلّص. كما أنّ بعض المؤمنين جاؤوا خفية وأخذوا جثامينهم ووضعوها في مكان لائق.

فبشفاعة القديس يوستينوس ورفقائه ألّلهم ارحمنا وخلّصنا، آمين.

صوم الرسل

يوم الإثنين الواقع فيه ١ حزيران الذي يلي أحد جميع القديسين يبدأ صوم الرسل الذي يستمر حتى ٢٩ حزيران ذكرى القديسين هامتي الرسل بطرس وبولس، وفيه ننقطع عن أكل اللحوم ومشتقات الحليب والبيض.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb